انتشار اللغة رهن بمدى إسهامها في الواقع الحضاري

الاستاذ زكي نجيب محمود
ـ القاهرة ـ

1 ـ اللغة هي نفسها الفكر ، وبمقدار ما يتسع الفكر عند الانسان يكون اتساع حصيلته اللغوية؛ اذ لا وجود لفكرة بغير لفظ يحملها ، كما انه ينبغي الا يكون وجود للفظ اجوف ، بغير فكرة يشير اليها ؛ وان صاحب اللغة كلما صادفته ـ في غير لغته ـ فكرة جديدة واراد نقلها الى لغته دون ان يجد لها في هذه اللغة لفظا يكافئها ، اخطر الى خلق لفظ جديد في لغته ـ اما اشتقاقا او تقريبا ـ ليقابل به تلك الفكرة الجديدة .

فاذا بدانا من هذه النقطة الواضحة ، وهي ان اللغة والفكر جانبان لموقف واحد ـ فلا لغة بغير فكر ولا فكر بغير لغة ـ انفتح امامنا طريق الاجابة عن السؤال المذكور .

فأهم المشاكل التي تعترض سير اللغة العربية؛ هي اولا ـ ان **ليس لدى ابنائها اليوم فكر جديد** تقدمه الى سائر اجزاء العالم ، بحيث يضطر الدارسون والمثقفون في ارجاء العالم اضطرارا الى الاقبال على لغتنا التماسا لفكرنا الجديد ، الا فلنعلم ان الدارسين والمثقفين ـ عند غيرنا على السواء ـ هم صيادو افكار قبل كل شيء ، فاذا عرف العالم ان في لغتنا الجديدة فكرا جديدا ، اقبل الدارسون والمثقفون على لغتنا ابتغاء ما فيها من فكر جديد فلماذا اضطر العالم الاوروبي في العصور الوسطى ـ ايام ازدهار الفكر العربي ـ الى تعلم اللغة العربية والترجمة عنها ؟ الانهم كانوا يترنمون بانغامها من حيث هي الفاظ ذات جرس وايقاع ؟ ام كان ذلك لانهم علموا انها مطوية على ثقافة جديدة وفكر جديد ؟ فدرسوها وترجموها لينتفعوا بما جاءت تحمله من مضمون خصب غزير .

ان معظم جهدنا اليوم بازاء تطوير اللغة العربية منصرف الى متابعة ما يتقدم به العالم الخارجي من علوم وفنون وآداب ، فكلما جاءنا من هناك جديد ، ولم نجد له لفظا عندنا يساويه ، التمسنا سبيلا الى نقله على اية صورة من الصور التي نتفق عليها ، واذا كان هذا هو موقفنا الفكرى ؛ فما الذي يدفع الدارس او المثقف في بلد اجنبي الى دراسة لغتنا ؟ لماذا يتعلمها وهو يدري ان مدى جهدنا هو ان نلحق به ؟

اعود لاؤكد انه لا **انتشار للغة الا بمقدار غزارة الاضافة الفكرية** التي تضيفها ، فالى ان يعلن فكرنا الجديد عن نفسه في ارجاء العالم ، علينا ان ننقل الى ذلك العالم كل ما نتوسم فيه الجدة من فكرنا وادبنا ؛ لعل هذا القليل الذي ننقله يكون فاتحة للكثير الذي ننتجه فينقله الناقلون عنا ؛ كما نقلوا عنا بالامس ؛ وكما ننقل نحن عنهم اليوم .

2 ـ اعتقد ان الاجابة عن هذا السؤال متضمنة في الاجابة عن السؤال الاول ، ومع ذلك فانني اضيف هنا ضرورة التيسير في قواعد اللغة العربية تيسيرا يزيل عنها التعقيد دون ان يمس جوهرها وخصائصها ، كما اضيف ضرورة التيسير في الاشتقاق وفي التعريب فنجيز كثيرا مما لا نجيزه اليوم ، فضلا عن ضرورة تقريب الشقة بين الفصحى والعاميات (لان العامية تختلف باختلاف الاقطار) حتى يزول الازدواج ، فتزول الحيرة التي تعترض الدارس من غير ابناء اللغة .

3 ـ اللغة العربية تصلح للتعليم الجامعي كل الصلاحية ، واحب في هذا الصدد ان اذكر النقاط الآتية :

أ) كانت « كل » المواد الدراسية ـ فى المدارس المصرية ـ الى اوائل هذا القرن ، تدرس باللغة الانجليزية ، ثم عرب بعضها فتيسر تدريسها بالعربية ، ولم يعرب بعضها الآخر ـ وخصوصا فى مجال العلوم ـ فظل حتى اليوم يدرس باللغة الانجليزية ، واحسب ان لو بقي الحال على ما كان عليه فى اوائل القرن ، لظن المعترضون على التعريب بأن تدريس التاريخ والجغرافيا والرياضة وعلم النبات وعلم الحيوان والفلسفة والجيولوجيا وغير ذلك من العلوم التي عربت ، أمر متعذر ، كما يظنون اليوم أن العلوم الباقية بغير تعريب تستعصي على التعريب .

ب) لابد من التفرقة بين هدفين من اهداف التعليم الجامعي ، اولهما تخريج المهنيين الذين يزاولون مهنتهم فى الحياة العامة ، من طب وهندسة وتعليم الخ... وثانيهما تخريج العلماء الذين تقع عليهم تبعة البحث العلمي سواء كان ذلك فى مناصب الاستاذية بالجامعات ذاتها ، او فى مراكز البحوث العلمية المتخصصة .

فأما الاولون فهم لا يطلب منهم ـ بالدرجة الاولى ـ أن يتابعوا تيارات البحوث العلمية فى الخارج ، بلغاتها الاجنبية ، ويكفيهم ان يتابعوا البحوث الجديدة فيما ينشره مواطنوهم العلماء فى الدوريات والمؤلفات العربية ، واما الآخرون فهم الذين يلزمهم بالضرورة تعلم اللغات الاجنبية ليسهموا فى حركة البحث العلمي فى ارجاء العالم .

ومعنى هذه التفرقة التي قدمناها انه بينما لا تضطرنا الضرورة لتعليم الالوف من ابنائها الجامعيين بلغة غير لغتهم ، فانه فى الوقت نفسه شرط ضروري لطلاب الدراسات العليا ـ ما بعد الدرجة الجامعية ـ أن يتابعوا دراساتهم مستعينين باللغات الاجنبية .

4 ـ ان اهم مشكلة تعترض الاساتذة فى التدريس الجامعي هي مشكلة المصطلحات العلمية ، اذ لابد من تعريب تلك المصطلحات ، او ترجمتها (أعني بالترجمة ايجاد لفظ عربي مقابل للفظ الاجنبي ، واعني بالتعريب ايجاد صياغة عربية للكلمة الافرنجية ذاتها) .

لكن ينبغي أن يكون هنالك اتفاق بين العلماء العرب على المصطلحات الجديدة فى صورتها العربية ، حتى لا تحدث بلبلة للدارسين .

وقد يعترض احيانا بأن المصطلحات العلمية عالمية بحكم طريقة بنائها اللغوي ، اذ هي تبني من مقاطع لاتينية تحمل المعنى ، ولا يشق على اي عالم مهما كانت لغته أن يألفها لفظا ومعنى ، وهنا نقول انه فى أمثال هذه الحالات نلجأ الى التعريب لا الى الترجمة ، بل وقد نلجأ الى الابقاء على بعض الصيغ العلمية والمعادلات الرياضية المشهورة فى العلوم فى صورتها الافرنجية نفسها .

ولا يجوز على اي حال لاية مشكلة ان تعوق نقل العلوم الى العربية ، لما فى ذلك من اثراء للغة ومن نهوض بالحركة الفكرية بمعناها الواسع العريض .